تفسير سورة الملك

جزء تبارك والتعليق على تفسير السعدي

- رحمه الله -

لفضيلة الشيخ /

أ.د: سُلَيْمَان الرحيلي

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تكملة تفسير سورة المدثر، وذكر فوائدها وحكمها].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاةُ والسلامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفُضلاء؛ نواصل تفسير سورة المدثر. فيتفضل الابن نور الدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾[المدثر:٥٤] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾[المدثر:٥٥] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[المدثر:٥٦].

يقول ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾، أي: حقًا إن القرآن عظة بليغة، وعبرة بينة لمن نظر وتفكر، وتأمل وتدبر، وكان ذا قلب يعقل، فمن شاء اتعظ به، وما يتعظ به متعظٌ.

ولا يتذكر به متذكر إلا أن يشاء الله، فلا يكون في كون الله إلا ما يشاء -سبحانه وتعالى-، وهو سبحانه أهل لأن يُتقى وأن يُخاف منه، وأن يُتقى عذابه، وهو أهل لأن يغفر لمن عصاه ممن وحده، يغفر لعصاة أهل التوحيد بأسباب المغفرة كالتوبة، والاستغفار، والحسنات الماحيات، وإن شاء غفر لعصاة الموحدين بعفوه المحض -سبحانه وتعالى-.

وأما المشركون فالله لا يغفر لهم أبدًا.

نقرأ ما سطره الإمام السعدي -رحمه الله عزَّ وجلَّ-.

(المتن)

قال الإمام العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى وغفر له ولشيخنا وللسامعين-في قوله -عزَّ وجلَّ-: {كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ} الضمير إما أن يعود علىٰ هذه السورة.

(الشرح)

فيكون: كلا إن المذكور في هذه السورة تذكرة، أي: عظة وذكرى لمن شاءأن يتذكر.

(المتن)

قال -رحمه الله-: أو علىٰ ما اشتملت عليه [من] هذه الموعظة.

(الشرح)

(**أو علىٰ ما اشتملت عليه [من] هذه الموعظة**)، بخصوصها من آيات السورة، ليست كل آيات السورة، وإنما آيات السورة المشتملة على هذه الموعظة.

والأصوب من هذين: أن المراد القرآن، (**{كَلَا}**)، أي: حقًا، (**{كَلَا}**) هنا بمعنى: حقًا.

(**{إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ}**): إن القرآن تذكرة؛ فيه أعظم المواعظ، وأعظم الزواجر، وأعظم الذكرى، ولكن الذكرى إنما تنفع المؤمنين أهل العقول، أهل القلوب التي تعقل وتفقه.

(المتن)

قال -رحمه الله-: {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ}.

(الشرح)

(**{فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ}**): من شاء أن يتعظ بالقرآن فله فيه عظة، ولا يقرأ القرآن قارئ إلا ويتعظ به إلا أن يُعرض بقلبه عن ذلك، ما أقبل مقبل على القرآن إلا كان القرآن له تذكرة، وكان له عظة وعبرة، لكن الذي يعرض عن القرآن فإنه لم يرد أن يتعظ، ولم يرد أن يعتبر وليس النقص في القرآن،وإنما النقص في إرادة قارئ القرآن.

القرآن عظة وعبرة، لكن هناك من يقرأ القرآن ولا يتعظ، ولا عتبر، ولا ينزجر، وهذا الذي قال فيه بعض السلف: [رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه]؛ لأنه يقرأ ما في القرآن ولا يتعظ به، ولا يعمل به، هذا ليس لنقص في القرآن، وإنما هو لنقص في هذا القارئ ما كان يريد أن يتعظ، ما كان يريد أن يعتبر، فلا ينتفع بمواعظ القرآن، ولا يقف عند تذكير القرآن.

(المتن)

قال -رحمه الله-: لأنه قد بين له السبيل، ووضح له الدليل. {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ}.

(الشرح)

كل مشيئة تحت مشيئة الله؛ الإنسان له مشيئة إن شاء اهتدى، وإن شاء ضل، فالإنسان له عقل، والله -عزَّ وجلَّ- قد هداه النجدين، ووضح له السبيل،بيَّن له سبيل الجنة، وبيَّن له سبيل النار، فإن شاء سلك سبيل الجنة، وإن شاء سلك سبيل النار.

ولكن مشيئة الإنسان لا تخرج عن مشيئة الله؛ بل هي تحت مشيئة الله، فمشيئة الله نافذة عامة، فكل مشيئة تحت مشيئة الله -سبحانه وتعالى-.

(المتن)

قال -رحمه الله-: فإن مشـيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد علىٰ القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله.

(الشرح)

الذين يقولون: إن أفعال العباد السيئة إنما هي بمشيئة العباد فقط، ولا تدخل تحت مشيئة الله، وهذا قول باطل ترده النصوص.

(المتن)

-قال -رحمه الله-: والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشـيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور علىٰ أفعاله .

(الشرح)

الجبرية يقولون: الإنسـان مجبور على أفعاله، لا يفعل باختياره، وليسـت له مشـيئة، وإنما هو كالقلب الذي يتحرك ليس له اختيار، وإنما ينبض دائمًا، فهو يفعل بلا مشـيئة ولا اختيار، وهذا -أيضًا- قول باطل مردود ترده النصوص.

(المتن)

قال -رحمه الله-: فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلا وجعل ذلك تابعًا لمشيئته، {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} أي: هو أهل أن يتقىٰ ويُعبد، لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه.

(الشرح)

(**وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه**)، أي: وحَّده إن عصى.

أهل أن يغفر له؛ لأن التوحيد لا يعني أن الإنسان معصوم من الذنوب؛ بل قد يذنب الموحد، لكن الموحد قد يغفر الله له.

الموحد لا يخلد في النار، وقد يغفر الله له، فلا يدخل النار وإن وقعت منه معاصي، قد يغفر الله له فلا يدخل النار، وإن شاء الله أن يؤاخذه بذنبه دخل النار ثم يُخرج منها، فيدخل الجنة. أما المشرك فلا طريق له إلى الجنة، ولا طريق له إلى مغفرة الله -سبحانه وتعالى-.

فقول الشيخ هنا (**وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه**) **أي**: إن وقعت منه معصية فإن الله أهل أن يغفر له إما بأعظم الأمور، وهو: عفوه -سبحانه-، وإما بأسباب المغفرة التي جعلها الله -عزَّ وجلَّ- أسبابًا لمغفرة الذنوب.

وبهذا نكون انتهينا من تفسير سورة المدثر، نقف مع شيء من حكمها العظام، وفوائدها الجسام:

من تلك الفوائد:

الفائدة الأولى:

أن الداعية ينبغي أن يقوم بدعوته بنشاط وقوة.

ينبغي على الداعية أن يتخلص من آفتين:

آفة الكسل، وآفة الضعف.

بل ينبغي أن يقوم بدعوته بنشاط وقوة، وهكذا كل من يريد نجاحًا في أمر لابد أن يقوم في ذلك الأمر بنشاط وقوة.

آفة الأعمال التي تؤدي إلى فشلها تعود إما إلى الكسل، وإما إلى الضعف.

الفائدة الثانية:

أن الخير للمؤمن، والكرامة، والعزة أن يكون طاهر الظاهر والباطن. الفلاح للمؤمن، والخير للمؤمن، والعز للمؤمن أن يكون طاهرًا في ظاهره الذي يظهر للناس، وأن يكون طاهرًا في باطنه، في قلبه يكون على طهارة، فيتخلص من الدنس في الظاهر والباطن.

الفائدة الثالثة:

أن الداعية إلى الله حتى ينجح في دعوته ينبغي أن يعتني بصلاح ظاهره؛ لأنه قدوة، وحتى يثق به الناس، وأن يعتني بطهارة باطنه من كل قصد سيء، ومن كل اعتقاد فاسد، ومن أمراض القلوب، وأن يعتني بطهارة أخلاقه من الأخلاق السيئة، وأن يعتني بتطهير الناس في هذا. هذا الداعية الناجح، وهذه الدعوة الشرعية ينبغي على الداعية أولًا أن يهتم بنفسه، أن يعتني بصلاح ظاهره الذييراه الناس، وهو قدوة، ولن يثق الناس في الداعية إذا كان ظاهره يخالف كلامه، ويخالف دعوته، وأن يعتني بطهارة باطنه من القصود الفاسدة، فلا يقصد إلا وجه الله، ولا يريد إلا ما عند الله، لا يتطلع إلى ما عند الناس، لا يتطلع إلى ما في أيدي الناس، ولا يتطلع إلى مدح الناس، ولا يتطلع إلى ثناء الناس، وأن يعتنتي بطهارة باطنه من الاعتقادات الفاسدة، فلا يكون إلا على عقيدة السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، وأن يعتني بطهارة باطنه من أمراض القلوب ولاسيما الحسد.

من أعظم الأمراض التي تضر الداعية الحسد، فإذا رأى أخًا له يدعوا إلى الله وقبله الناس يشتعل قلبه حسدًا، ويريد أن يسقطه، ويريد أن يبغِّض الناس فيه لا لخطأ عنده، ولا لانحراف عنده؛ وإنما لحسد يشتعل في قلبه.

لا يفلح الداعية إلا إذا حرص على أن يكون قلبه سليمًا من أمراض القلوب، وأن يعتني بطهارة أخلاقه، ويحرص على الأخلاق الحسنة، وفي نفس الوقت يعتني بدعوة الناس إلى إصلاح ظاهرهم، وتطهير بواطنهم، وتطهير أخلاقهم، بهذا تتم للداعية أسباب نجاحه ونجاح دعوته.

الفائدة الرابعة:

أن المسلم ينبغي أن لا يستذكر عمله الصالح، وأن لا يُعجب بعمله؛ بل يراه دائمًا قليلًا، وينظر إلى من هو أحسن منه، وأصلح منه.

الفائدة الخامسة:

أنه لا فلاح للإنسان في جميع أموره في دنياه وأخراه إلا بالتوحيد والإخلاص لله -عزَّ وجلَّ-.

الفائدة السادسة:

أن الصبر وسيلة كل فلاح ونجاح، فلا يفوز إلا الصابرون.

الفائدة السابعة:

أن المؤمن المفلح الكيِّس يذكر نفسه دائمًا بالموت وما بعده، فيكثر من ذكر الموت، واليوم الآخر حتى يستعد له بما ينجيه ويفوز به إذا لقي الله -عزَّ وجلَّ-.

الفائدة الثامنة:

أن المؤمن الكيِّس يستصحب القرآن دائمًا، ويتدبر آياته، ويستضيء به، ويزداد إيمانًا به، ويعالج قلبه به دائمًا.